التربية الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإسلامية

بقلم
دكتور
محمد حسانين البطاح

مقدمة :

لقد دفعنى إلى بحث هـــذا الموضوع رؤيتى لخطر مصير الحضارة الغربية التى يسير الناس فى ركبها فى الشرق والغرب معا ، ذلك أن هـذه الحضارة المتقدمة فى الناحية العلمية والمادية البحتة ، من الممكن أن تنهدم بين يوم وليلة ، لأنها تحمل عوامل الهدم كما تحمل عوامل البناء فى الوقت نفسه ، لأن غاية التسابق ليست أخلاقية أولا ، أى ليست لتحقيق الخير للمجتمع الإنسانى ، بل من أجل التفاخر والسيطرة ، وتحكم القوى على الضعيف ... هذه ناحية .

ومن ناحيـة أخرى فإن الإتجاه فى بنـاء الإنسان الحضارى فى تلك الحضارة خطير من حيث اقتصاره على الجانب الجسدى والعقلى ، وإهماله الجانب الروحى الأخلاقى . وكلما تقدم الجانب الأول وتأخر الجانب الثانى إزداد اختلال التوازن الطبيعى فى حياة الإنسان العصرى ، والأمر يؤدى فى النهاية إلى ضياع الروح الأخلاقية وفساد القلب ، وهذا سيكون سببا لضياع الجسم والعقل معا فى النهاية .

ومن ثم يؤدى إلى إنهدام طبيعة البناء الاجتماعى والحضارى معا ، ونتيجة لإزدياد إختلال ذلك التوازن الطبيعى فى حياة الفرد ثم فى حياة المجتمع نرى إزدياد ظهور الظواهر الشاذة والمنحرفة فى حياة الأفراد والمجتمعات ، يتمثل ذلك فى الأمراض الروحيـة المنتشرة ، والجرائم العقلية المتلاحقة ، والفساد العريض ، والقلاقل والاضطرابات المستمرة فى الحياة . مما جعل كثيراً من المفكرين والعقلاء فى تلك الدول المتقدمـة حضاريا ينادون بل يصرخون باعادة بنـاء الفرد والمجتمع والحضارة على أساس الدراسة التكاملية للطبيعة الإنسانية ، والاهتمام بجوانب هـذه الطبيعة وحاجاتها الأساسية — جسمية ، وعقلية ، وقلبية ، وروحية معا .

وهذا البحث بعون الله تعالى يشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية البحث والأسباب الدافعة إلى اختياره .

وأما القسم الأول فهو بعنوان « مفهوم التربية فى ضوء الإسلام » ويشتمل على بحث النقاط التالية :

أولا: مفهوم التربية .

ثانيا: بين التربية والتعليم .

ثالثا : هل التربية تبدأ بالفرد أم بالجماعة ؟

رابعا : التربية الروحية .

خامسا : التربية الجسدية .

وأما القسم الثانى فهو بعنوان :

« دور التربية الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلامية ، ويتضمن بحث النقاط التالية :

أولا : مفهوم الحضارة .

ثانيا : عناصر الحضارة الإسلامية .

ثالثا : أهمية التربية الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلامية .

رابعا : دور التربيه الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلامية .

وأما الخاتمة فقد تضمنت خلاصة البحث ونتائجه .

القسم الأول

مفهوم التربية فى ضوء الاسلام

أولا: مفهوم التربية :

التربية عند علماء اللغة :

لو بحثنا عن معنى كلمة التربية فى قواميس اللغة العربية لوجدنا أن هذه الكلمة تطلق ويراد بها : معنى الزيادة والنمو والنشأة والرعاية ، والمحافظة، والتغذية ، وعلو الشأن والارتفاع[١] .

أما من الناحية الاصطلاحية :

فهناك تعريفات عديدة للتربية فى مجال التربية العامة يختلف المربون فى تعريفها بحسب إختلاف العوامل المؤثرة فى الأهداف التربوية حسب أهداف الأمم أو المجتمعات فى نوعية الشخصية التى تريد بناءها من النـاحية العلمية والدينية والأخلاقية والإجتماعية فهناك إتجـاه يرى أن هدف التربية عامة تكوين إنسان كامل تتكامل فيه الجوانب الإنسانية ، ويمثل هذا الاتجاه على سبيل المثال « سبنسر »[٢]، وجان جاك روسو[٣]، وبستالوزى[٤] .

---

(١) لسان العرب مادة ربى .

(٢) فى التربية — سبنسر — ص ٨ ترجمة محمد السباعى — مطبعة الجريدة — القاهرة — ١٩٠٨ م .

(٣) أميل — جان جاك روسو ص ٣٢ — ترجمة د / نظمى لوقا ط ، الشركة العربية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٥٨ م .

(٤) تطور النظرية التربوية — صالح عبد العزيز ص ٢٣٠ — دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ م .

والاتجاه الثانى : يرى أن الهدف من التربية تكوين مواطن صالح فى المجتمع أو الدولة كما يرى أفلاطون[١] وأرسطو[٢] .

الاتجاه الثالث : يرى أن الهدف من التربية بناء شخصية أخلاقية ويمثل هذا الاتجاه هيجل[٣] وجون لوك[٤] ورونيه أوبير[٥] .

بينما التربية فى المنظور الإسلامى تعنى :

تنشئة وإعداد مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة صحية ، وعقلية ، وروحية ، واعتقادية ، وأخلاقية وإبداعية ، وإرادية ، وذلك فى ضوء المبادىء والقيم العامة التى جاء بها الإسلام ، وفى ضوء الطرق والأساليب التى بينها .

ثانيا : بين التربية والتعليم :

كثيرا ما يتردد سؤال بين الدارسين هو « هل التربية مرادفة للتعليم أم مغايرة له ؟ أم أن أحدهما يشمل الآخر ؟ والحقيقة أن هناك فرقا بين

---

(١) الثقافة والتربية فى العصور القديمة د / وهيب إبراهيم سمعان ص ٢٣٠

(٢) السياسة — أرسطو — ترجمة أحمد لطفى السيد ص ١٢٥ ، ص ٢٧٣ ، ص ٢٧٨ — ط . دار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٣) تربية الإنسان الجديد د / فاضل الجمالى — ص ١٧٧ — ط الاتحاد العام التونسى للتوزيع ١٩١٧ م .

(٤) تاريخ التربية — مصطفى أمين ص ٢٧٨ ط دار المعارف بمصر ١٩٢٥ م .

(٥) التربية العامة — رونيه أوبير ترجمة د / عبدالله عبد الدائم ط : دار العلم للملايين — بيروت .

التربية وبين التعليم ، ذلك لأنه بينما تتجه التربية إلى الفرد وتهتم به من جميع نواحيه العقلية والنفسية والخلقية والجسمية ، وتعمل على تنمية قدراته واستعداداته ومهاراته ، نجد أن التعليم يتناول جانب العقل فقط.

وكثيرا ما نجد إنسانا جمع كثيرا من العلوم ، وحصل العديد من المعارف ، بل وحصل على أعلى الدرجات العلمية ، وإذا تتبعنا سلوكه ، وفتشنا عن أخلاقياته وجدناه معوج السلوك سيء الأخلاق فماذا نحكم عليه ؟

إن الحكم الصحيح أن نقول : إنه إنسان حصل العلم وفقد التربية ، وذلك لأن العملية التعليمية التى حصل خلالها على المعارف ، وجمع فيها كثيرا من العلوم لم تعدل من سلوكه ، ولم تؤثر فى تصرفاته وميوله .

والإسلام له موقفه الصريح من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بنعمة العلم ، فراحوا يدعون الناس إلى التحلى بالقيم الفاضلة والمثل العليا ، ثم خالفت أفعالهم أقوالهم يقول عز شأنه « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »[١] .

وبين النبى ﷺ كيف يعذب هؤلاء فى الآخرة فقال « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه[٢] فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يافلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه »[٣] .

---

(١) سورة الصف آية ٢ ، ٣ (٢) تخرج أمعاءه .

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد ج ١٨ ص ١١٨ ط ٢-١٣٩٢ هـ-٩٧٣ م نشر دار إحياء التراث العربى — بيروت — لبنان .

ولكن الفرق بين التربية والتعليم ليس كبيرا ، وليس البون بينهما شاسعا ، والتفرقة الزائدة بين التربية والتعليم أمر فيه شيء من البعد عن الصواب ، والذين يذهبون إلى قصر التربية على تربية الأخلاق وتهذيب السلوك ، وقصر التعليم على جمع الحقائق والمعلومات هم قوم بالغوا فى ذلك كثيرا فأحيانا يطلق التعليم ويراد به التربية وذلك عندما يكون التعليم مشتملا على تعديل فى السلوك والميول ، ولا يكون مجرد تجميع للعلوم وتحصيل للمعارف .

ثالثا : (هل التربية تبدأ بالفرد أم بالجماعة ؟

يذهب بعض علماء التربية إلى أن الفرد هو اللبنة الأولى التى يتكون منها المجتمع ، لذلك ينبغى أن توجه إليه عنايتنا ، وتهيء له الفرص التى تنمى مواهبه وتساعده على الوصول إلى درجة الكمال الممكن بالتدريج ، فيصبح بذلك إنسانا سويا صالحا لعضوية الجماعة ، وعلى هذا الرأى فالتربية تبدأ بالفرد .

ويرى آخرون ، أن الأصل هو الجماعة ، والفرد عضو من أعضائها لا يمكن أن يعيش بمعزل عنها فعلى الجماعة أن تقوم بوضع مناهج التعليم ، وأن تقيم المدارس التى تحقق أهدافها وتضمن تقدمها .

موقف التربية الإسلامية :

التربية الإسلامية تبدأ بالفرد ، لأن الفرد عضو فى الجماعة التى يعيش فى كنفها ، وواحد من أفرادها ، فإذا أحسنت تربية الفرد ، ووجه التوجيه السليم فما لا شك فيه أن هذه التربية سوف تشمل الجماعة كلها .

من أجل هذا أعتنى الإسلام إعتناء كبيرا بالفرد ، ودعا إلى تربيته ماديا ومعنويا تربية سليمة تقوم على أساس من الأخلاق الكاملة الفاضلة ،

والعزيمة القوية ، والهدف النبيل ، حتى يكون قادرا على تحمل المسئولية فى كل موضع يوضع فيه فيؤدى واجبه نحو ربه ونفسه ومجتمعه على أتم وجه .

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى[1] .

أساس التربية إنسانى محض ، إشعار الإنسان بأنه مسئول عن الإنسانية جمعاء .. اقرءوا إن شئتم قوله ﷺ « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة[2] أو قوله « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه[3] أو قوله « إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[4] أو قوله « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض[5] ... فستجدون الطابع الإنسانى واضحا كل

---

(١) الإسلام وحقوق الإنسان ص١٢٨

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠ / ٤٣٨ كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم عن انس ط المطبعة السلفية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ١/٦٧ كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير عن أنس ط عيسى الحلبى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

(٤) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ٣ / ١٥٤٨ كتاب الصيد والذبائح باب الأمر باحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة عن شداد بن اوسى .

(٥) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ٤/٢١١٠ كتاب التوبة باب فى سعة رحمة الله تعالى وانها سبقت غضبه

الوضوح فى كل كلمة وكل عمل وكل مبدأ وكل تشريع فى الإسلام عامة وفى التربية الإسلامية خاصة .

فالتربية ضرورية للفرد كالطعام للجسد فكما أن الطعام يحفظ على الجسد بقاءه كذلك التربية تحفظ على الإنسان سلامته واطمئنانه فى الحياة وتجعله لبنة صالحة فى المجتمع .

وحاجة الإنسان إلى التربية ضرورية منذ صغره وقبل أن يتم نضجه ويقدر ما يبذله الأب من جهد وعناية فى تربيته وتوجيهه يكون تقدمه وفلاحه .

والإسلام يهيب بالآباء أن يقوموا بهذا الواجب ويحذرهم خطر المساءلة عليه فيقول سبحانه «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة»(١) .

ويقول ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٢) .

والتربية الإسلامية عنيت بالإنسان عناية شاملة روحا وجسدا لم تعن بجانب وتهمل آخرا ، بل جعلت فى حسابها كل الجوانب حتى تقيم العدل فى داخله فتتيح للروح أن تظفر بفضائلها وللجسد أن ينعم بمطالبه .

رابعا : التربية الروحية :

الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه كل متكامل ، ينظر إليه على أنه وحدة متكاملة الأجزاء لا يمكن أن ينفصل جسده عن عقله ولا عن روحه .

(١) سورة التحريم آية ٦

(٢) صحيح مسلم باب فضيلة الإمام العادل .

ومن هذه النظرة الدقيقة لم تتجه التربية فى الإسلام لجسم الإنسان دون روحه ولا لروحه دون جسده ، وإنما اهتمت بكل هذه الجوانب حرصا على التربية المتكاملة .

والروح وإن كانت شيئا غامضا مبهما انفرد الله بمعرفة حقيقته كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى .

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »(١) .

إلا أنها فى نفسها حقيقة لا يمكن إنكارها ، ذلك لأن نتائجها ليست خفية عنا ، وإنما هى مدركة ومعلومة لنا ، فمن نتائجها أن يتصل الإنسان بالغيب المحجوب عن حواسه ، فالإستشفاف عملية من عمليات الروح .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى بيان الاستشفاف . إن حاسة خافية فى الإنسان لا تعرف كنهها تستيقظ أو تقوى فى بعض الأحيان فتتغلب على حاجز الزمان ، وترى ما وراءه فى صورة مبهمة ليست علما ولكنها استشفاف كالذى يقع فى اليقظة لبعض الناس ، وفى الرؤى لبعضهم فيتغلب على حاجز المكان . أو حاجز الزمان ، أو هما معا فى بعض الأحيان(٢) .

(١) سورة الإسراء آية ٨٥

(٢) فى ظلال القرآن سورة يوسف فى تفسير قوله تعالى « وكذلك يجتبيك ربك » مجلد ٤ ص ٦٩٧ ط ٧ — دار إحياء التراث العربى — بيروت ، لبنان .

والحكم التنبىء والتخاطر عن بعد عملية من عمليات الروح كما حدث بين عمر بن الخطاب وسارية حينما ناداه على بعد ألوف الأميال ياسارية الجبل الجبل فسمعه سارية ونجا من الكمين وانتصر .

ونحن وإن كنا لا ندرك كيف يتم هذا الاستشفاف وكيف تم هذا التخاطر وكيف يتم العلم التنبىء فإن عـــدم إدراكنا لذلك لايسوغ لنا أن ننكر وقوعه تماماً كما يحدث فى عملية التذكر والإدراك ، فنحن لا نعرف كيف يتم التذكر : وهو عملية من عمليات العقل أشار القرآن إليها فى عديد من الآيات .

« أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون »[1] .

« كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »[2] .

« قل لمن الأرض ومن فيهـــا إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون »[3] .

ولكن عدم معرفتنا كيف تتم عملية التذكر والإدراك لا يحملنا على إنكارها فهى حقيقة علمية .

والإسلام ينظر إلى الروح على أنها الوسيلة التى تصل الإنسان بخالقه ، ومن ثم يهتم بها كل الإهتمام ويعطيها حقها من التوجيه والرعاية .

---

(١) سورة النحل آية ١٧
(٢) سورة الأعراف آية ٥٧
(٣) سورة المؤمنون آية ٨٤ ، ٨٥

وسائل الإسلام فى تربية الروح :

إن الإسلام يحرك فى نفس الإنسان الإحساس بمراقبة الله فى كل لحظة ، وفى كل خطوة ، وفى كل عمل ، يحرك فى نفسه الإحساس بمراقبة الله وهو يمشى فى مناكب الأرض طلباً للرزق ، يحرك فى نفسه هـــذا الإحساس وهو يخالط الناس ويعايشهم ويتعامل معهم ، يحرك فيه هذا الإحساس وهو يربى أبناءه ويتعامل معهم ، فالله معه أينما كان .

« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة »[1] .

« وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير »[2] .

« يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور »[3] .

« إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون »[4] .

ومن وسائل الإسلام فى تربية الروح أنه يحرك فى قلب الإنسان تقوى الله والخشية منه واللجوء إليه دون سواه ، ويحرك فى قلبه الرضا بقضاء الله وقدره ، والطمأنينة إليه فى السراء والضراء .

ومن وسائل الإسلام فى تربية الروح ، وتعتبر أيضاً من وسائله فى تربية العقل أنه يدعو الإنسان إلى التأمل فى آيات الله فى الأنفس والآفاق ، وإعمال العقل فيها كى يدرك عظمة الله وإبداعه .

---

(١) سورة المجادلة آية ٧
(٢) سورة الحديد آية ٤
(٣) سورة غافر الآية ١٩
(٤) سورة الأنبياء الآية ١١٠

«هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون»[1].

«وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها من كل زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون»[2].

«وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»[3].

«أولم يتفكروا فى أنفسهم»[4].

«وفى أنفسكم أفلا تبصرون»[5].

ومن وسائل الإسلام فى تربية الروح العبادات.

فالصلاة هى الصلة الدائمة بين العبد وربه وعن طريقها يبتعد الإنسان عن الفواحش والمنكرات، ويقترب من الله سبحانه ويحب الخير للجميع.

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة:

فى سبيل تربية الروح والوجدان لابد من الدين والعناية به وتلقين

(١) سورة النحل الآية ١٠، ١١
(٢) سورة الرعد الآية ٣
(٣) سورة البقرة آية ١٦٤
(٤) سورة الروم الآية ٨
(٥) سورة الزاريات آية ٢١

الطفل له، وطبع مشاعره به، ولذلك أمر النبى ﷺ عامة المسلمين بأن يعلموا أولادهم الصلاة، ويحملونهم عليها بالترغيب والتأديب ولا يتجاوز ذلك، وإن الصلاة إذا أديت على وجهها هى التى تهذب الوجدان وتجنب العصيان، ولذلك قال تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون»[1].

والزكاة ليست مالا يؤخذ من جيوب الأغنياء ثم يدفع إلى الفقراء فحسب دون ما هدف أو غاية، بل تهدف إلى تطهير نفس الغنى والفقير، تطهر الغنى من الشح والبخل، وتطهر الفقير من الحقد والغل، ثم هى علاج نفسى يتناول الغنى والفقير معاً قال تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» والصوم عبادة تربوية، تربى فى النفس الإنسانية قوة الإرادة وصدق العزيمة ومراقبة الله تعالى فتسمو بذلك النفس وتعلو وهكذا سائر العبادات تربى فى نفس الإنسان المثل العليا والقيم الفاضلة،

خامساً: — التربية الجسدية —

وكما يهتم الإسلام بتربية الروح فإنه يهتم كذلك بتربية الجسد، والتربية الإسلامية لا تهتم بجسم الإنسان من الناحية العضلية والحسية فحسب، وإنما تهتم إلى جانب ذلك بالطاقة الحيوية والقوة الكامنة فى الجسم الإنسانى، والتى يجتمع فيها الخير والشر والغرائز والنزعات، فلا تترك لهذه الطاقة أن تنطلق دون تنظيم أوروية، فتؤذى وتدمر، وإنما تعمل على تربيتها والسمو بها وضبطها وتنظيمها.

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع ص ١٨٠ — ١٨١ ط دار الفكر العربى.

يقول الأستاذ محمد قطب :

الإسلام فى تربيته للجسم والطاقة الحيوية يراعى الأمرين معا يراعى الجسم من حيث هو جسم ليصل منه الى الغاية النفسية المرتبطة به ، فحين يقول الرسول الكريم « إن لبدنك عليك حقاً ، من إطعام وإراحة وتنظيف وتقويم فهو يدعو إلى هذه العناية الشاملة بالجسم كله ، ليأخذ الإنسان بنصيب من المتاع الحسى الطيب الحلال الذى أمر الله به فى توجيهاته الكثيرة « ولا تنس نصيبك من الدنيا »[1] « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »[2] أى لغاية نفسية مقامة على قاعدة جسمية ، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة وهى أهداف تشمل كل كيان الإنسان[3] .

فالإسلام حينما يدعو إلى تعلم الرماية والسباحة والفروسية يقصد من وراء تلك الدعوة تقوية جسم الإنسان حتى يتحمل المشاق ، وحتى يستطيع أن يأخذ نصيبه الحق من الحياة الدنيا كما أراد الله تعالى ، ذلك لأن الجسم المريض الهزيل لا يستطيع أن يأخذ نصيبه من الحياة الدنيا. كما أنه لا يقوى على العمل فيها ، إذا أن العمل فيها نوع من أنواع الجهاد يحتاج إلى جسم قوى البنيان .

ومن ثم قال ﷺ « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

---

(١) سورة القصص الآية ٧٧

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٢

(٣) منهج التربية الإسلامية ص ١٢٥ ط ٣ — ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م .

ولم يكتف النبى ﷺ بالدعوة إلى التربية الجسمية بل مارس صنوفا منها.

روى ابن إسحاق فى السيرة : أن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف كان من أشد قريش ، فخلا يوماً برسول الله ﷺ فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ « يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ .

قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعتك ، فقال له رسول الله ﷺ أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقوله حق ؟ قال نعم قال: فقم حتى أصارعك ، قال : فقام ركانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال عديا محمد فعاد فصرعه[1] .

والمصارعة رياضة بدنية تحتاج إلى قوة جسمية .

ومن أنواع الرياضة سباق الجرى ، وسباق الخيل والإبل وهى من ضروب الفروسية التى مارسها ﷺ هو وأصحابه ، وكان نشاط الرسول ﷺ فى مشية وفى عمله يدل على ما يتمتع به من قوة جسمية .

يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب[2] .

---

(١) السيرة النبوية — ابن هشام — جـ١ ص٤١٨ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — مطبعة حجازى بالقاهرة .

(٢) زاد المعاد جـ١ ص١٦٧ فصل فى هديه فى مشيه وحده ومع أصحابه تحقيق شعيب لأرنؤط ، عبد القادر الأرنؤط — مؤسسة الرسالة — مكتبة المنار الاسلامية .

ويقول أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحد أسرع فى مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له ، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث[1] .

كل هذا يدل على أن الاسلام يهتم بالتربية الجسدية مثلما يهتم بالتربية الروحية حتى يشب الانسان قوياً حساً ومعنى .

(١) المرجع السابق .

القسم الثانى

دور التربية الاسلامية فى بناء الحضارة الاسلامية

أولا : مفهوم الحضارة وماهيتها :

لقد اختلف الباحثون فى تحديدهم للحضارة ، وذلك بسبب تركيز كل واحد منهم على جانب من جوانب الحضارة أكبر من الجوانب الأخرى ، فنجد أحدهم يقول « إنها نوع من أنواع الحياة البشرية المتقدمة عمادها بصفة أساسية معيشة الحضر ، وما تتطلبه من تنظيم ، وما تسفر عنه من نتائج وتدابير تتمثل فى الكتابة والتشريع ونظم الحكم وأساليب التجارة والتدين[1] .

والحضارة على الأساس المتقدم لا يمكن تصورها إلا فى رحاب المدن ، فهو تحديد يركز على الجانب المادى للحضارة .

ومنهم من يركز على الجانب الروحى فيقول : فالحضارة فى جوهرها تقوم على الكائن البشرى لا على الأشياء المادية ، والناس متحضرون وغير متحضرين وفقا لبعض مزاياهم القلبية والروحيـــة ، وتدل كلمة الحضارة على جودة عقلية وروحية ، كما تدل كلمة صحة على جودة طبيعية أو جسدية[2] .

(١) الحضارة والتحضر / عبد المنعم نور ص٦٠٥

(٢) الثقافة الإنسانية فى فلسفة التربية فى الشرق والغرب ص١١٩٠ (مباحث دوليه) ترجمة أنطون خورى

ومنهم من يركز على الجانب المادى والمعنوى معا ويقول : الحضارة هى التقدم الروحى والمادى للأفراد والجماهير على حد سواء . ثم يركز على الجانب الأخلاقى أكثر ويقول ، ولما بحثت فى ماهية الحضارة وطبيعتها تبين لى فى ختام المطاف أن الحضارة فى جوهرها أخلاقية(٣) .

ولعل هذا التصور هو أقرب إلى تصورنا للحضارة الإسلامية ، وقائله قد وصل إليه بعد بحث طويل عن الحضارة ، وعما يجب أن تكون عليه الحضارة الإنسانية .

ومن الغريب أن بعض الغربيين يصلون بعد تجارب طويلة إلى فكرة قيمة قد جاء بها الإسلام منذ قرون . ومع ذلك لا يزال بعض المسلمين يتمسكون بالحضارة المادية !

مفهوم الحضارة الإسلامية :

يمكن أن نقول إن مفهوم الحضارة فى نظر الإسلام يعنى تقدم المجتمع من الناحية المادية والمعنوية فى جميع مناحى الحياة الإنسانية بروح خيرة ونحو غاية خيرة .

ذلك أن أى تقدم فى أى ناحية لا يدخل فى الحضارة الإسلامية ما لم يتم بروح خيرة أى يبتغى به وجه الله ولتحقيق غاية خيرة ولو كان فى التقدم الروحى ، فلو أن إنسانا يقضى ليله ونهاره فى عبادة متواصلة ولم يكن فى عبادته مخلصا بأن كان فى ذلك مراءيا أو منافقا فإنه لا يعد متقدماً روحيا ، بل لا يعد عمله عملا روحيا على الاطلاق .

وكذلك لو أنه صنع أعقد الآلات ، وطاف بها الأفلاك لا يعد هذا

(٣) فلسفة الحضارة ص ٣٤ ألبرت أشفيتسر .

تقدما فى نظر الحضارة الإسلامية ما لم يفعل ذلك بروح خيرة أو لغاية خيرة .

فمن سمات الحضارة الإسلامية أن يتم التقدم والتحضر بروح خيرة ، إذ التقدم بغير هذه الروح يؤدى فى النهاية إلى انهيار الحضارة وإلى تعاسة الإنسان فى النهاية شأن الحضارة الغربية التى لم تبن بروح خيرة وإنما بنيت للتفاخر والاستعمار ، والمتعة الحسية .

وثمة ميزة أخرى للحضارة الإسلامية ، وهى استخدام الروح الخيرة فى دفع عجلة التقدم فى الميادين المختلفة ، لأن القوة الروحية الخيرة طاقة جبارة ، فإذا دخلت فى النفوس ورسخت فيها تحولت إلى طاقة محركة تدفع عجلة التقدم فى جميع مناحيها بسرعة .

لكن لا يمكن تكوين هذه الروح الخيرة فى النفوس إلا ببناء الأفراد والمجتمع بالتربية الإسلامية .

عند ذاك يصبح الأفراد الذين يحملون هذه الروح سادة الحضارة لا عبيدها ، ثم يتحركون بعجلاتها وهم فى مأمن من هذا التحرك لأنهم يتحركون على بصيرة وإلى غاية محدودة تنتهى بهم إلى الرفاهية والسعادة ومن أجل رفع مستوى الإنسانية وتعميم الخير على البشرية .

وبذلك تكون الحضارة أداة السعادة لا أداة الشقاوة كما آلت إليه الحضارة الغربية ، وكما يقرر ذلك مقيموها الغربيون .

ثانيا : عناصر الحضارة الإسلامية .

يمكن إجمال عناصر الحضارة الإسلامية فى أقسام ثلاثة : —

الأول : العناصر المعنوية ، وتشمل العناصر الإعتقادية والروحية والأخلاقية والعلمية والإبداعية .

الثانى : العناصر المادية : وتشمل التقدم الزراعى والصناعى والعمرانى والتجارى .

الثالث : العناصر التنظيمية والتشريعية التى تنظم حياة الفرد والمجتمع والدولة مرتبطا بجميع جوانب الحضارة ؛ وتشمل نظم الدولة السياسة ، ونظام الأسرة ، ونظام المجتمع .

مع ملاحظة أن العناصر المعنوية هى التى توجه الحضارة الإسلامية فهى بمثابة الروح فى الجسد ، وهى الروح الخيرة الدافعة للتقدم المادى بجميع عناصره نحو الغايات العليا .

ثالثا : أهمية التربية الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلامية

إن أهمية التربية الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلاميـــة يرجع إلى اعتبارين هامين تقوم بهما التربية الإسلامية إزاء هذه الحضارة .

أولهما : حفظها من لانهيار .

ثانيهما : دفع عجلة التقدم نحو غاية خيرة .

أما فيما يتعلق بحفظ الحضارة ، فإنه يرجع أساسا إلى أن هذه التربية تزيل أولا روح الشر من النفوس ، لأن الشر عامل الهدم فى كل المجالات والميادين ، وأهم هذه الشرور الظلم والعدوان المتسلط على الناس ، ومحاولة استبعادهم لمآرب ذاتية ، واستغلالهم لتحقيق النفع للمصالح الشخصيه .

ولهذا يقول ابن خلدون عن دور هذه الشرور فى هدم العمران : إعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالها فى تحصيلها واكتسابها ، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى

الاكتساب ، لأن العمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ، فإذا قعد الناس عن المعاش ، وانتقضت الأحوال ، واذعر الناس فى الآفاق...

خف مساكن القطر ، وخلت ديارة . وخربت أمصارها ، واختل باختلاله حال الدولة والسلطان ، لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة[١] .

ثم يقول : ومن أشد الظلمات وأعظمها فى فساد العمران تكليف الأعمال ، وتسخير الرعايا بغير حق ... وأعظم من ذلك فى الظلم وإفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس[٢] .

ويقول الإمام الماوردى عن أثر الجور فى خراب العمران :

ليس شىء أسرع فى خراب الأرض ، ولا أفسد فى ضمائر الخلق من الجور[٣] .

ويقول غوستاف لوبون : عن أسباب سقوط الأمم وانحطاطها ويرجعها إلى الانحطاط الأخلاقى فيقول : ونحن إذا بحثنا فى الأسباب التى أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم وجدنا أن العامل الأساسى فى سقوطها هو تغير مزاجها النفس تغير انشأ عن انحطاط أخلاقها[٤] .

ويقول صاحب قصة الحضارة ول ديورانت : بعد أن يذكر عوامل

---

(١) مقدمة ابن خلدون الفصل الثالث والأربعون . ط الشعب

(٢) المرجع السابق

(٣) أدب الدنيا والدين — الماوردى — ص٤١ ؛ تحقيق / مصطفى السقا ط . الحلبى ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

(٤) السنن النفسية لتطور الأمم / غوستاف لوبون ص ١٧٢ ترجمة عادل زعيتر

بناء الحضارة ، ومن ضمنها العوامل الأخلاقية : لو انعدمت هذه العوامل بل ربما لو انعدمت واحدة منها لجاز للمدنية أن يتقوض أساسها[١] .

كما يقرر المؤرخ المشهور إدوارد جيبون فى تحليله لأسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية حيث إنه بدوره يرجع ذلك إلى الانغماس فى الرذيلة والترف وحياة الدعة والكسل ، والخيانة والغدر والتناحر من أجل السلطة، وما إلى ذلك من الأمراض الأخلاقية الأخرى والاجتماعية الأخرى[٢]

يتبين من خلال ذلك أن الشر أو الإنحطاط الأخلاقى أضر شىء على حياة البشرية والحضارات الإنسانية .

رابعا : دور التربية الإسلامية فى بناء الحضارة الإسلامية :

إذا وجدت التربية الإسلامية القائمة على معالم الإيمان الحقة والمتأسسة على حب الخير للناس ودفع الشر عنهم فإنها تدفع المجتمع إلى السعى لإقامة مشروعات مختلفة وإبتكارات جديدة لترقية الإنسانية ولجلب أكبر قدر ممكن من النفع لأكبر قدر ممكن من الناس ، والسعى من جميع الأفراد بهذه الروح يؤدى لا محالة إلى إزدهار الحضارة ، لأنه سعى من أجل مرضاة الله تعالى ، لا للتفاخر ولا للاستعلاء ، ولا للتناحر ولا للبغضاء ، ينطبق على أصحابه قول الله تعالى « أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون »[٣] .

(١) قصة الحضارة — ول ديورانت ص ٧
(٢) الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ج ١ ص ٢٣٠ — ٢٥٠
(٣) سورة المؤمنون آية ٦١

كما تدفعهم تلك الروح إلى دراسة وسائل تحقيق الخير وتعليمها الناس وإرشادهم إليها .

والإسلام يرغب فى ذلك فيقول ﷺ « إن الملائكة وأهل السماء والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير »[١] .

ويقول « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[٢] .

ويقول « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »[٣] .

كما تدفعهم تلك الروح الخيرة إلى إبتكار طرق ووسائل تحقيق المشروعات الخيرة كما دل على ذلك ﷺ فقال : « من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شىء »[٤] .

ولا يتحقق ذلك إلا إذا أشرب الفرد والمجتمع روح التربية الإسلامية .

وفيما يلى عرض لبعض النماذج من معالم التربية التى تقود المجتمع إلام يصبو إليه من حضارة شامخة .

(١) التاج ٦٤/١
(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان
(٣) المرجع السابق
(٤) صحيح مسلم كتاب العلم

دعوة الإسلام إلى العلم :

أول ما دعا الإسلام دعا إلى طلب العلم ابتغاء وجه الله ، فالعلم روح الحياة ، ومعقد الرجاء ، وروح الإيمان ، ومؤشر النجاة ، ومفتاح السعادة فى الدنيا والآخرة .

لذلك كان أول ما نزل من القرآن الكريم مصدر التربية الإسلامية الأول « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم »[1] وقوله « ن والقلم وما يسطرون »[2] .

وقوله « والطور ، وكتاب مسطور ، فى رق منشور »[3] .

والقراءة والعلم والكتاب كلها أدوات للعلم يهدف الإسلام إلى الإشادة بقيمتها وفضلها ، لأن الحضارة بدون علم ليست حضارة ، كما أن التقدم العلمى إذا لم يكن إبتغاء وجه الله (خاضعاً لغاية خيرة) فقد يجلب شروراً ومفاسد على الناس أكثر من الجهل ، وإذا كان العلماء الأخيار يبنون الحضارة ، فإن المفسدين منهم يهدمونها ، قال ﷺ « إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين »[4] .

لأن الجاهل الفاسد مهما كان فاسداً فسيكون فساده محدودا لجهله بطريق الفساد ، أما العالم الفاسد فإنه يستطيع أن يفسد المجتمع بأسره ،

(١) سورة العلق آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥
(٢) سورة القلم آيه ١ ، ٢
(٣) سورة الطور آية ١ ، ٢ ، ٣
(٤) سنن الترمذى كتاب الفتن

لذلك وجه الإسلام أولا حركة التعليم والتربية نحو غاية خيرة وأمر بالتربية قبل التعليم ، وهذا جزء من توجيه الإسلام السلوك الإنسانى فى هذه الحياة بصفة عامة وهو بدوره تابع من توجيه الإسلام نحو غاية واحدة مشتركة وهى التوجيه نحو الخالق الواحد الأحد وبذلك أمر الله تعالى :

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »[1] .

وتبعاً لذلك قال سبحانه فى ميدان التوجيه التعليمى « كونو ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »[2] أى ليكن تعليمكم وتربيتكم لله رب العالمين أساساً لا للعيشة ولا لنيل الوظيفة ، وإذا سقطت غاية التعليم والتعلم إلى هذا المستوى الرخيص ، فيكثر فيها الفساد كما نراه فى هذا الزمان من غش المتعلمين وعدم جديتهم فى التعليم ، وكما نرى ذلك فى المعلمين الذين لا يجدون من التعليم ، ولا يخلصون فيه ، بل نرى بعضهم لا يعلمون كما يجب ، فإذا انتشر مثل هذا الفساد فى ميدان العلم فكيف يتقدم العلم ومن ثم كيف تتقدم الحضارة ، ولهذا منع الإسلام أن يطلب العلم لغير غاية أخلاقية أيا كانت تلك الغاية فقال ﷺ « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء ولا لتحدثوا به فى المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار »[3] .

لأن طلب العلم لغاية غير أخلاقية يعد سلوكا غير أخلاقى ، ومن ثم يعاقب عليه فى الآخرة ولا سيما إذا كان ذلك العلم علم الدين ، لأنه بذلك يتخذ الدين وسيلة لأغراض غير أخلاقيه . ولأنه يترتب على إتخاذ تعلم الدين وتعليمه وسيلة لمجرد معيشة دنيوية ، فساد كبير من حيث أنه لا يعلم

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢ ، ١٦٣
(٢) سورة آل عمران آية ٧٩ (٣) سنن الدارمى كتاب العلم

إلا بالمقابل ، ومن ثم فمن لا يجد ما يدفع لا يستطيع أن يتعلم ، والدين ضرورة للحياة الإنسانية يجب ألا يضن بتعليمه لأى سبب آخر ، ثم إن الذى يتعلم الدين ليتاجر به كمن يصلى ليكتسب مالا أو عرضا من أعراض الدنيا وهذا يعد نفاقا ، ومن ثم يكون عدم تعلم خيراً من تعلم ، لذلك يقول ﷺ « من تعلم علما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة »[1] .

لكن هذا لا يمنع من أخذ الأجر على التعليم إذا كان محتاجاً . ما دام لم يكن هدفه مبدئيا من التعليم كسب الرزق ، وما دام لم يقصد كذلك أموراً أخرى غير أخلاقية ، ما دامت غايته فى البداية والنهاية أولا وقبل كل شىء خدمة الدين وخدمة الناس عن طريق العلم لوجه الله. ما دام الأمر كذلك لا حرج عندئذ من أخذ الأجر حتى ولو كان ذلك الأجر على تعليم القرآن الكريم .

ثم إن تقدم العلوم يحتاج من جهة أخرى إلى التخصص فى كل فرع من فروعها . وكلما زاد التخصص تقدمت العلوم . لكن التخصص يحتاج إلى ضمان الرزق . أو مورد الرزق . ولهذا قال ﷺ إن أحق ما أخذ تم عليه أجرا هو كتاب الله »[2] ومعلوم أن الرسول زوج أحد أصحابه بما معه من القرآن وأعتبر قراءته صداقا »[3] وقال الإمام الشعبى « لا يشترط المعلم إلا أن يعطى شيئاً فيقبله »[4] .

بعد هذا التوجيه شجع الإسلام على التعليم والتعلم لأنها الوسيلة الوحيدة

(١) التاج كتاب العلم
(٢) فتح البارى — كتاب الاجارة
(٣) فتح البارى كتاب النكاح باب تزويج المعسر
(٤) فتح البارى لشرح صحيح البخارى كتاب الإمارة

لترقية الحياة الإنسانية وتنويرها وتحقيق الرفاهية ، وفهم الحياة والكون والوجود والحقائق ، ثم إن العلم ضرورى لأنه غذاء العقل وغريزة العقل تدفع الإنسان لتحقيق حاجته من المعرفة ، و يعد علماء النفس هذه الحاجة من الحاجات الأساسية للإنسان .

فقال ﷺ « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة »[1] ، وقال « إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم » وفى رواية رضاء بما يصنع »[2] وطلب الإسلام أن يغادر طلاب العلم بلادهم إلى بلاد أخرى إن احتاجوا فقال تعالى : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »[3] .

وحذر فى الوقت نفسه من كتمان العلم فقال سبحانه « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »[4] .

ضرورة العمل بالعلم :

ثم لم يكتف الإسلام بالحث على التعلم والتعليم بل أمر بعد ذلك بالعمل بالعلم ، لأن فائدة انتشار العلم فى العمل به ، كالكنز لا ينفع إلا بالانتفاع به ، ولأن تقدم الحضارة متوقف على العمل به ولهذا قال ﷺ

(١) التاج كتاب العلم .
(٢) سنن ابن ماجه حديث ٢٢٦
(٣) سورة التوبة آية ١٢٢
(٤) سورة البقرة آية ١٧٤

تعلموا العلم وانتفعوا به ولاتتعلموه لتتجملوا به »[1] وجعل المسئولية على من تعلمه ولا يعمل به فقال عليه السلام « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل به وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه »[2] .

التقدم الزراعى :

فيما يتعلق بالتقدم الزراعى حث الإسلام أولا على استصلاح الأراضى ، لأنه الأساس الأول لذلك التقدم فقال ﷺ « من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها »[3] .

بعد ذلك شجع على الزرع وبين أن الزارع له أجر إذا أكل من زرعه إنسان أو حيوان أو طير ، فقال عليه السلام « لايغرس مسلم غرسا ولايزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولاشيء إلا كانت له صدقة »[4] .

التقدم العمرانى :

فيما يتعلق بالتقدم العمرانى وردت نصوص كثيرة تشجع على البناء والعمران لإيواء الفقراء والمساكين ووقفه فى سبيل الله ، قال ﷺ : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ،

(١) سنن الدارمى كتاب العلم .
(٢) سنن الترمذى كتاب العلم .
(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى فى كتاب المزارعة — باب إحياء الأرض .
(٤) صحيح مسلم حديث ١١٨٨ كتاب المساقاة — باب الغرس والزروع .

وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه ، أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته »[1] .

التقدم الصناعى :

فيما يتعلق بمظهر التقدم الصناعى للحضارة فإنه يتوقف أساسا على التقدم العلمى والتقدم الأخلاقى والإبداعى قال ﷺ « يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن » وفى رواية « أن يتقن » .

التقدم الاقتصادى :

فيما يتعلق بالتقدم الاقتصادى وجه الإسلام هذه الناحية من الحضارة الإنسانية توجيها أخلاقيا ليكون التقدم الاقتصادى فى إطار التقدم الأخلاقى ، فمنع الغش والخديعة والغصب وأى كسب بطريق غير أخلاقى قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم »[2] .

وقال : « ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »[3] .

ودعا الإسلام إلى الإخلاص والصدق فى المعاملة التجارية ، فقال : ﷺ « البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما كذلك منع الإسلام الكسب بالربا والاحتكار وخاصة فى الأقوات ، ونبذ الأساليب البغيضة التى تثير

(١) سنن ابن ماجه حديث رقم ٢٤٢
(٢) سورة النساء آية ٢٩
(٣) سورة البقرة آية ١٨٨

الأحقاد والعداوة بين الناس فقال ﷺ « ولا تناجشوا ولا يبع الرجل على بيع أخيه »[1] .

بعد ذلك وجه الإسلام إلى أساليب استخدام الثروة بأن يكون هذا الاستخدام فى الحلال لا فى الحرام وألا يكون افتخارا أو تبذيراً ، قال سبحانه : « وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا »[2] ، وقال عز شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »[3] .

ومن ثم يتبين لنا قيمة التوجيه التربوى فى الإسلام فى بناء الحضارة من الناحية الاقتصادية من ناحيتين ، ناحية الإنتاج بدعوته إلى العمل المتقن والمفيد للمجتمع ، وناحية الإنفاق القائم على عدم الإسراف والتبذير .

ومعلوم أن الاقتصاد لا ينمو فى أى مجتمع إلا بهاتين الطريقتين كثرة الإنتاج ، والاقتصاد فى المصروفات .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى — ابن حجر العسقلانى — كتاب البيوع .

(٢) سورة الأعراف آية ٣١

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٤

الخاتمة

وبعد ، فقد تبين لنا مما سبق أن بناء الحضارة وتقدمها ثم ثباتها واستقرارها متوقف تماما على أفراد المجتمع ، لكن هؤلاء الأفراد لا يستطيعون أن يقوموا بتلك المهام إذا لم يتكونوا تربويا ، فالتربية ضرورية فى هذا الشأن .

أولا : للترقية بالإنسان من مرحلة الهمجية والوحشية إلى المدنية الإنسانية .

ثانيا : لبناء الحضارة .

ثالثا : لنقل الحضارة والمدنية من جيل إلى جيل .

ويظهر ذلك بوضوح إذا أخذنا فى الاعتبار التربية الأخلاقية لأنها تكون فى شخصية المرء قوة دافعة محركة له إلى أعمال الخير ، كما أنها تكون قوة رادعة له من أن ينساق إلى أعمال شريرة تضر به وبغيره أيضا .

لهذا فقد اهتم الإسلام بالتربية عامة والتربية الأخلاقية على وجه الخصوص فقال ﷺ : « ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن »[1] .

ولهذا كله أيضا فإن النبى ﷺ لم يأت لمجرد تبليغ رسالة ربه بل جاء أيضاً لتربية الأمة بهذه الرسالة وبفضائلها يقول سبحانه « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »[2] .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

---

(١) سنن الترمذى ٢٢٧/٣ كتاب البر والصلة .

(٢) سورة البقرة آية ١٥١

مراجع البحث

١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ أدب الدنيا والدين ــ الماوردى ــ تحقيق مصطفى السقا ط. الحلبى ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م

٣ ــ الإسلام وحقوق الإنسان ــ د/ محمد عبد المنعم خفاجى

٤ ــ الامبراطورية الرومانية وسقوطها ــ إدوار دچيبون

٥ ــ اميل ــ جان چاك روسو ــ ترجمة د/ نظمى لوقا
ط الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٥٢م

٦ ــ تاريخ التربية ــ مصطفى أمين ـ دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢م

٧ ــ التربية العامة ــ رونيه أوبير ــ ترجمة د: عبد الله عبد العليم
ط. دار العلم للملايين ــ بيروت.

٨ ــ تربية الإنسان الجديد ــ د: فاضل الجمالى ــ ط. الاتحاد العام التونسى للتوزيع ١٩١٨ م

٩ ــ تطور النظرية التربوية ــ صالح عبد العزيز ــ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤ م

١٠ ــ تنظيم الإسلام للمجتمع ــ محمد أبو زهرة ــ دار الفكر العربى

١١ ــ الثقافة الإنسانية فى فلسفة التربية فى الشرق والغرب (مباحث دولية) ترجمة أنطون خورى

١٢ ــ الثقافة والتربية فى العصور القديمة ــ د: وهيب إبراهيم سمعان

١٣ ــ الحضارة والتحضر ــ عبد المنعم نور

١٤ ــ زاد المعاد ــ ابن قيم الجوزية ــ تحقيق شعيب الأرنؤط، عبد القادر الأرنؤط ـ مؤسسة الرسالة ـ مكتبة المنار الإسلامية

١٥ ــ سنن ابن ماجه

١٦ ــ سنن الترمذى

١٧ ــ سنن الدارمى

١٨ السنن النفسية لتطور ــ الأمم ــ غوستاف لوبون ترجمة ـ عادل زعيتر

١٩ ــ السياسة ــ أرسطو ــ ترجمة أحمد لطفى السيد
ط. دار الكتب المصرية ـ القاهرة

٢٠ ــ السيرة النبوية ــ ابن هشام ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة حجازى بالقاهرة

٢١ ــ صحيح مسلم ــ ط ٢ ــ ١٣٩٢ هـ ١٩٧٣ م
نشر إحياء التراث العربى ــ بيروت ــ لبنان

٢٢ ــ فتح البارى ــ ابن حجر العسقلانى

٢٣ ــ فى التربية ــ سبنسر ترجمة محمد السباعى ــ مطبعة الجريدة القاهرة ــ ١٩٠٨ م

٢٤ ــ قصة الحضارة ــ ول ــ ديورانت

٢٥ ــ لسان العرب ــ ابن منظور ــ ط. دار المعارف

٢٦ ــ مقدمة ابن خلدون ــ ط. الشعب.

٢٧ ــ منهج التربية الإسلامية محمد قطب ط ٣ ــ ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧م